جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 132

تحقيق النصوص التراثية

التصور والواقع

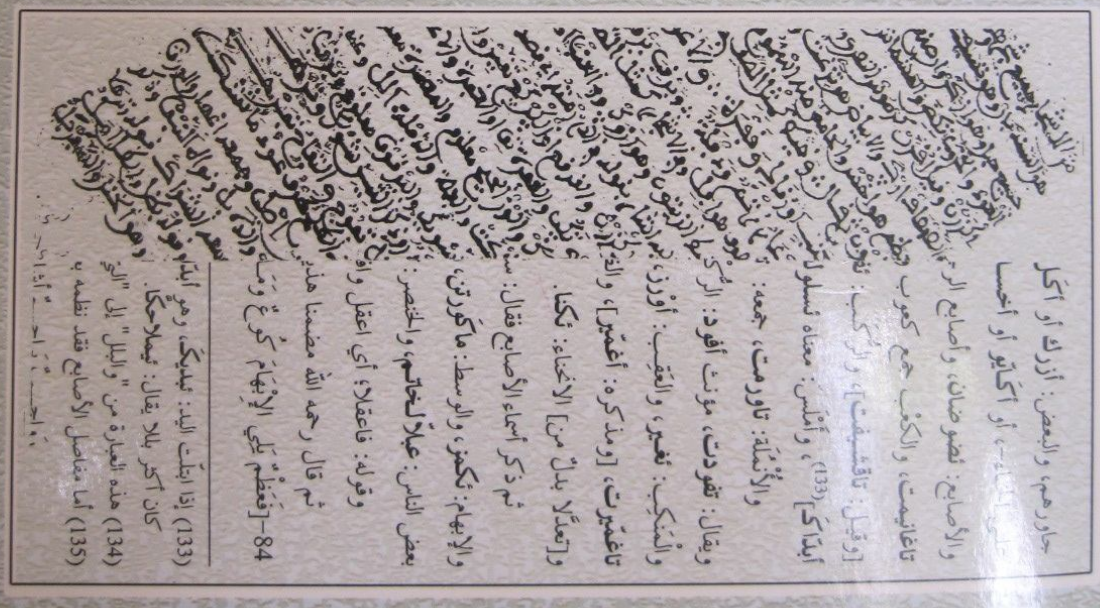

بحث: المريني

بدعم من

مؤسسة كونراد

الكتاب : تحقيق النصوص التراثية : التصور والواقع
تنسيق : نجاة المريني
الخطوط : بلعيد حميدي
الغلاف : إعداد عمر أفا
الناشر : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
حقوق الطبع : محفوظة لكلية الآداب بالرباط بمقتضى ظهير 29-07-1970
الطبع : مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء
التسلسل الدولي : issn 1113-0377
ردمك : 0 - 113 - 59 - 9981
الإيداع القانوني : 2006/2161
الطبعة الأولى : 1427 هـ/2006 م

المستويات اللغوية العربية
وعلاقتها بتحقيق النص التراثي المغربي

جعفر بن الحاج السلمي
كلية الآداب – تطوان

مقـدمـة :

يَنطَلِقُ هذا البَحثُ مِن افتِراضٍ عِلميٍّ مَفادُهُ أَنَّ عِلمَ تَحقيقِ النُّصوصِ العَرَبيَّة، هُوَ عِلمٌ مِنَ العُلومِ الإنسانيَّة، وَأَنَّهُ بهذا عِلمٌ نِسبيٌّ في نَتائِجِه، كَسَائِرِ العُلومِ الإنسانيَّةِ الأُخرى.

وَيَنطَلِقُ هَذَا البَحثُ كَذلِكَ مِن افتِراضٍ آخر، مُرتَبِطٍ أشَدَّ الارتِباطِ بالافتِراض الأوَّل، مَفَادُهُ أنَّ النُّصوصَ المُحَقَّقَة، الَّتِي تَدَّعِي التَّحقيق، أو الَّتِي يَدَّعِي لَهَا أصحابُهَا أوِ النَّاسُ صِفَةَ التَّحقيق، هيَ نُصوصٌ نِسبيَّةُ القيمة، مهما بَذَلَ المُحَقِّقُ فيها مِن جهد ومَهما أوتِيَ من إيمانٍ بمَشروعِهِ العِلميّ، وَمِن صَبرٍ عَلى البَحث، وَإمكَانِيّاتٍ عِلميَّةٍ وَغيرِ عِلميَّةٍ تُسَهِّلُ لَهُ أمرَه.

وَيَنْطَلِقُ هذا البَحثُ من افتِراضٍ مَفادُهُ أنَّ أكثَرَ المُحَقِّقينَ العَرَب تَعَباً ونَصَباً في عَمَلِهِم، هُمُ المُحَقّقون للتُّراثِ العَرَبِيِّ المَغرِبيّ، لأنَّهُم مُضطَرُّونَ في الغَالِبِ إلى استيعاب التُّراثَينِ المَشرِقِيِّ والأندَلُسِيِّ، فَضلاً عَنِ التُّراثِ المَغرِبِيِّ، وَقَضاياهُما وَمَشاكِلِهِما، قبلَ الإقدامِ عَلى تَحقيقِ النَّصِّ المَغرِبيّ.

ويَنطَلِقُ هذا البَحثُ مِن افتراضٍ آخَرَ مَفَادُهُ أنَّ تَحقيقَ النُّصوص، بِمَا هُو عِلمٌ مُستقِلٌّ بِذَاتِهِ، هُوَ تَخَصُّصٌ في ذَاتِهِ، فَلَيْسَ لِلمُحَقِّقِ أن يَدَّعِيَ التَّخَصُّصَ في تَحقيقِ ضَربٍ خَاص من التُّراث، إلا على سَبيلِ المَجاز.

لقد قادني إلى طرح هاذه الافتراضات، تجربتي الطويلة في تحقيق التراث المغربي. التي آن لي أن أقوم بتقييم شامل لها، وأنا الآن على رأس عشرين سنة من العمل في التحقيق، بما لها وما عليها، عسى أن يستفيد منها طلبتنا في علم تحقيق النصوص، في كلية الآداب بالرباط، وسواهم من الباحثين.

أ - المرحلة الأولى :

وقد استغرقت دون قصد مني، عشر سنوات تقريبا. ذلك أنني بدأت في تحقيق النصوص، عام 1407هـ/1986م، مباشرة بعد عودتي من فرنسا. وكان أول عمل بدأته، تحقيق كتاب "رياض الورد"، مع تحقيق الرسالتين الماسية والاستعطافية، لأبي جعفر ابن عطية.

إن أهم ما يميز تجربة هذه المرحلة، هو أنها تجربة عصامية، فلا شيخ سالكا، يقيني في طريقي "المهالكا"، وإنما هو تعب ونصب ومكابدة للنصوص. ولم تكن لي في تحقيق النصوص غاية مادية تحفزني، كالحصول على شهادة جامعية، أو التهيئ لترقية، أو جائزة ثقافية. بل كانت الغاية من عملي هي خدمة التراث المغربي، عصبية له، وتسهيلا لغيري أن يدخلوا عالمه من الباب الواسع. وتجنيبا لهم، بقدر الإمكان، أن يكرروا ما امتحن به الرواد في الدراسات المغربية الأدبية، ومن جاء بعدهم، من قلة ما بأيديهم من النصوص المطبوعة، ونُدرتها في الخزائن إن طبعت. وهو أمر كان وما يزال يعنتهم إعناتا.

ثم يميزها كذلك أنني شرعت في الاشتغال، أول ما شرعت، على نصوص لعلماء وأدباء ذوي مكانة عالية في المعرفة باللغة العربية الفصيحة، وإن داخلتها نصوص ضعيفة في لغتها.

وهكذا حققت في دائرة هذا التوجه من الوثائق ما ياتي :

1 - الرسالتان الماسية والاستعطافية، لأبي جعفر ابن عطية. (517-553هـ) نشر وتحقيق. مجلة المناهل. ع، 38، ص ص. 317-331. س. 1989.

2 – وَثائقُ بَيتِ شَيخِ الجَماعَة، أبي العَبَّاس، أحمَدَ بنِ العَرَبِيِّ ابنِ الحاجِّ السُّلَمِيّ بتطوان. أعمالُ نَدوَة تِطوانَ خِلالَ القَرنِ الثَّامِنِ عَشَر. س. 1994. ص. 115-131.

وحقَّقتُ مِنَ الكُتُبِ ما يَأتي :

1 – التَّعريفُ بِالتَّاودِيِّ ابنِ سودَة، لأبي عَبدِ الله، مُحَمَّدٍ الطَّالِبِ ابنِ الحاجِّ السُّلَمِيّ. (1273هـ – 1857م) مَطبَعَةُ الكاتِبِ العَرَبِيّ. دِمَشق. 1991. 84 صفحة.

2 – رِياضُ الوَرد، فيما انتَمى إلَيهِ هذا الجَوهَرُ الفَرد، لأبي عَبدِ الله، مُحَمَّدٍ الطّالِبِ ابنِ الحاجِّ السُّلَمِيّ. (1273هـ – 1857م).

ج .1. مَطبَعَةُ الكَاتِبِ العرَبِيّ دِمَشق. 1413هـ – 1993م. 224 صَفحَة. ج. 2. منشورات جَمعِيَة تِطَاوُن أسمير، وَكُلِّيَّةِ الآدابِ بِتطوان، والجَمعِيَةِ المَغرِبيَّة لِلدِّرَاسات الأندلُسِيّة. تطوان. 1998-240 صَفحَة.

3 – مُختَصَرُ نُزهَةِ الأفكار، وَحُلَّةِ الأبرار، في مَناقِبِ سَيِّدي عَبدِ القادِر، وشَيخِهِ الفَخّار، لِمُولَّفٍ مَجْهُول. تَقديمُ د. احمَدٍ ابنِ عبّود. مَنشوراتُ جَمعِيَةِ تِطّاوُن أسمير. سلسلة تُراث.1. تِطوان. 1417هـ – 1996م. 94 صَفحَة.

4 – ديوانُ الحَرّاق، أبي عَبدِ الله، مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَرّاق. صَنعَةُ مَحُمَّدِ بنِ العَرَبِيِّ الدِّلائِيِّ الرِّبَاطِي. مَنشوراتُ جَمعِيَةِ تِطّاوُنَ أسمير. سِلسِلَةُ تُراث. تِطوان.1417 هـ – 1996م. النَّشرَةُ الثّانِيَة : مَنشوراتُ جَمعِيَةِ تِطّاوُن أسمير. سِلسِلَةُ تُراث. تِطوان. 1424هـ – 2003م.

وَيُضافُ إلى ما سَبَقَ ما يأتي :

1 – تَرجَمَةُ أبي الحَسَنِ الشّاذِلِيّ، في كِتابِ سَبْكِ المَقال، لِفَكِّ العِقال. مَجلَّةُ كُلِّيَّةِ الآداب بِتِطوان. ع. 5. س. 1991. ص. 125-141. وَصَنَعتُ مِنَ الدَّواوينِ ما يأتي :

1 – ديوانُ أبي الحَسَنِ الحَرالِّيِّ المُرّاكُشِيّ، ضِمن : "نَشرُ التُّراثِ الأدَبِيِّ المَغرِبِيّ، بينَ الواقِعِ والمِثال، مَعَ صُنعِ ديوانِ أبِي الحَسَنِ المُرّاكُشِيّ. "أعمالُ نَدوَة" التُّراثُ

الأندَلُسِيُّ المَغربيّ : التَّوثيقُ وَالقِراءَة. 4. منشوراتُ كُلِّيَّةِ الآدابِ بِتطوان. د.ت. ص. 71-99.

2 – ديوانُ ابن حَبّوسٍ الفاسِيّ. (500-575هـ) مَجلَّةُ المَناهِل. ع. 50. س. 1416هـ –1996م. ص. 252-282.

3 – ديوانُ أبي حَفصٍ ابنِ عُمَرَ الأغماتيِّ السُّلَمِيّ. مَجلَّةُ المَناهِلِ. ع. 52 س. 1417هـ – 1996م . ص. 237-273.

لقد كانَت هذه النُّصوصُ في الغالِبِ نُصوصاً أدَبيَّةً خالِصة، أو ذاتَ قيمَةٍ أدَبيَّة، وكانَت لُغَتُها فَصيحَةً في عُمومِها. وَقلَّما كانَت نُصوصاً تاريخِيَّة. وكَانَ عَمَلي تَحقيقاً لِمَخطوطاتُ نَشَرتُها أوَّلَ مَرَّة، أو صناعَةً لِدَوَاوِينِ شُعَراءَ ضاعَت دَواوينُهُمْ، أو لَم تَكُن لَهُم دَواوِينُ أصلا، ما عَدا ما قُمتُ بِهِ مِنَ الاِعتِناءِ بِنَشرِ ديوانِ الحَرّاقِ مَشكولاً مُفَهرَسا. فَهذا استِثناءٌ في هذه المَرحَلة، وما عَدا وَثَائِقَ بَيتِ "شَيخِ الجَمَاعة"، الّتي تَتَراوَحُ لُغَتُهَا بَينَ الفَصاحَةِ وَاللَّحنِ والعامِّيَّة.

ب - المَرحَلَةُ الثَّانِيَة :

وَتَمتَدُّ عَلى وَجهِ التَّقْرِيب. مِن عامِ 1416هـ/1996م، إلى عامِنا هذا، وَهُوَ عامُ 1426هـ 2005م. وأَهَمُّ ما يُمَيِّزُ هذه المَرحَلَةَ هُوَ الإعراضُ عَنِ النُّصوصِ الأدَبيَّةِ في الجُمْلَة، والإقبالُ عَلى الاِشتِغالِ بِالنُّصُوصِ التَّاريخِيَّةِ وَالثَّقافِيَّةِ الدِّينِيَّة. وهكذا حَقَّقتُ أو شَرَعتُ في تحقيقِ نُصوصٍ طَوِيلَةٍ في حَجْمِهَا. وَهِي :

1 – عُمدَةُ الرّاوين، في تاريخِ تِطّاوين، لأبِي العَبّاس، أحمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ الرَّهونيِّ التِّطوانيّ. (1351هـ).

ج. 1. مَنشوراتُ جَمعِيَّةِ تِطّاوُنَ أسمير، سِلسِلَةِ تُراث. 6. وَكُلِّيَّةِ الآداب بِتطوان، مَجموعَةِ البَحثِ في الأسطورَةِ والتُّراث. تِطوان. 1419هـ – 1998م. 270ص.

ج.2. مَنشوراتُ جَمعِيَّةِ تِطّاوُنَ أسمير، سِلسِلَةِ تُراث. 6. تِطوان. 1421هـ – 2001م. 264ص.

ج.3. مَنشوراتُ جَمعِيَّةِ تِطّاوُنَ أسمير، سِلسِلَةِ تُراث. 6. تِطوان. 1424هـ – 2003م. 346ص.

ج.4. مَنشوراتُ جَمعِيَّةِ تِطّاوُنَ أسمير، سِلسِلَةِ تُراث. 6. تِطوان. 1424هـ – 2003م.

2 – الإشرافُ عَلى بَعضِ مَن بِفاسَ مِن مَشاهِيرِ الأشراف، لأبي عَبدِ الله، مُحَمَّدٍ الطَّالِبِ ابنِ الحاجِّ السُّلَمِيّ المِرداسيِّ الفاسيّ (1273هـ) مَنشوراتُ تِطّاوُنَ أسمير. سِلسِلَةُ تُراث. 11. تِطوان. 1425هـ – 2004م. جُزءان.

وَقَد قُمتُ فِي هَذِهِ المَرحَلة، وَما زِلتُ أقوم، وَاللَّهُ المُوَفِّق، بِمُراجَعَةِ نَشرِ أكبَرِ فَهرسَةٍ عِلمِيَّةٍ لِعالِمٍ مِنَ القَرنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الهِجرِيّ. وهي :

1 – النَّعِيمُ المُقيم، في ذِكرى مَدَارِسِ العِلم، ومَجَالِسِ التَّعليم، لِمُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ المُرير. بِاعتِناءِ أحمَدَ المُرير، وتَقديمِ د. امَحَمَّدٍ ابنِ عَبُود، ومَراجَعَتِنا.

ج. 1. مَنشوراتُ جَمعِيَةِ تِطّاوُن أسمير. سِلسِلَةُ تُراث 1420.9 هـ 2000م . 254 صَفحَة.

ج. 2. مَنشوراتُ جَمعِيَةِ تِطّاوُن أسمير. سِلسِلَةُ تُراث 9. تِطوان. 1424هـ 2003م. 287 صَفحَة.

ج. 3. مَنشوراتُ جَمعِيَةِ تِطّاوُن أسمير. سِلسِلَةُ تُراث 9. تِطوان. 1426هـ 2005م. 378 صَفحَة.

وَأَهَمُّ ما يُمَيِّزُ المَرحَلَتَينِ مَعا، هُوَ التَّداخُلُ بَيْنَ تَحقيقِ التُّراثِ الأَدَبِيِّ وبَيْنَ تَحقيقِ التُّراثِ التّارِيخِيّ، إمّا في نَفْسِ النَّصّ، وَإمّا في مَجموعِ الإنجازات.

وبالرَّغْمِ من هذه المَسيرَةِ التَّطَوُّعِيَّةِ الطَّويلَة، الَّتي كادَت أن تَبلُغَ العِشرينَ عاما، فإنَّني لَم أكتُب شَيئاً في نَظَرِيَّةِ التَّحقيق، كِتاباً أو مَقالَة، ما عَدا فقراتٍ في : "فائِتِ فائِتِ شعرِ ابن حبوسٍ الفاسيّ. نَظَراتُ في أزمَةِ مَنهَجِ الاستِدراكِ وَالتَّوثيق". تَعقيب مَجَلَّةُ المَنَاهِل. ع. 53. س. 1417هـ – 1996م. ص. 207-227، وَما عَدا ما كَتَبتُهُ في مُقَدّماتِ الكُتُبِ الَّتي نَشَرتُها.

لَقَد تَبَيَّنَ لِي مِنَ المُعاشَرَةِ الطَّوِيلَةِ لِكُلِّ هذه النُّصوص، أنَّ تحقيقَ النَّصِّ هُوَ قَبلَ كُلِّ شَيء، إشتِغالٌ في نَصٍّ لُغَوِيّ، وأنَّ النُّصوصَ هِيَ مُستَوَياتٌ ومَقاماتٌ وَدَرَجَاتٌ لُغَوِيَّةٌ يَجِبُ علَى المُحَقِّقِ أن يَعِيَها وأن يَضبِطَهَا وَأن يَفرزَهَا قَبل أن يُقدِمَ علَى تَحقيقها.

وَتَبَيَّن لِي كَذلِك أنَّ تَحقيقَ النُّصوص يَجِبُ أن يكونَ مِن عَمَلِ المُنتَهي في معرِفَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ومُستَوَياتِهَا التَّعبيرِيَّةِ، لا لِلمُبْتَدِئ.

وتَبَيَّنَ لِي أنَّ تَحقيقَ التُّراثِ قَد صارَ مَيداناً يَتَرامَى عَلَيْهِ الآن كُلُّ مَن هَبَّ ودَبَّ، وَصارَ حِرفَةَ مَن لا حِرفَةَ لَه، وَتَخَصُّصَ مَن لا تَخَصُّصَ لَه. وَالأمرُ لِلَّهِ.

وَتَبَيَّنَ لِي أنَّ التُّراثَ المَغرِبِيَّ فِيهِ مُستَوَياتٌ لُغَوِيَّةٌ مُتَعَدِّدَة ؛ مِنها ما يأتي :

1 – **العَرَبِيَّةُ العِلمِيَّةُ والأَدَبِيَّة**، أي العَرَبِيَّةُ الَّتي كانَ يَكتُبُ بِها العُلماءُ والأدباءُ، مِن أمثالِ عَبدِ الواحِدِ المُرّاكُشِيّ، والعَرَبِيِّ الفاسِيّ، وحَمدونَ ابنِ الحاجِّ السُّلَمِيّ، وابنِ زاكورَ الفاسيّ، وسِواهُم مِن جُمهورِ عُلماءِ المَغْرِبِ وأُدَبائِه. وَهِيَ مَضبوطَةٌ بِقَواعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَمُعجَمِهَا الغَنيّ. وَلَن نَضرِبَ الأمثالَ عَلى وُجودِ هذا المُستَوى، لِشُهرَتِهِ.

2 – **العَرَبِيَّةُ المَخزَنِيَّة** : وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ كَثيرٍ مِنَ الوَثائِقِ المَخزَنِيَّة. وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ يَفشو فيها اللَّحنُ وَالرَّكاكَة. وَالسَّبَبُ في ذَلِك، إمّا ضَعفٌ في نَفسِ الكاتِب، أو أمِّيَّةٌ في المُخاطَب، تستَلزِمُ التَّقَرُّبَ إلَيه بِلُغَتِهِ الَّتي يَفهَمُهَا، ضمَاناً لِسُرْعَةِ الفَهمِ وَالتَّواصُل. وَمِن أمثِلَةِ ذلك ما وَجَدناهُ في وَثائِقِ بَيتِ شَيخِ الجَمَاعَة، أبي العَبّاس، أحمَدَ ابنِ الحاجّ :

"كِتابُنا هذا... بِيَدِ حامِلِه الفَقيهِ النَّزِيه... السِّيِّدِ عَبدِ الرَّحمانِ ابن الفَقيهِ العَلاَّمة.... شَيخِ الجَماعَة، أبو العَبّاس..."

"فَإنَّنا تَابِعِينَ في ذلك أمرَ الله".

"وَبِيَدِ الكاتِبِ السَّيِّدِ أحمَدَ أكابِرِ الكُرفَطِيّ، وأَنَّ الكاتِبَ المذكور..."

"وأَذِنّا لَهُ في استِنابَةِ وَلَدِ أُختِه، الفَقيهِ النَّجيبِ أبا العَبّاس..." ص. 124.

"يَتَمَسَّكُ بهِ أولادُهُ المُستَوطِنينَ..." ص. 129.

"وَهُمُ الفَقيهُ الأنبَلُ السَّيِّدُ عَبدُ الله، وأخيهِ السَّيِّدُ أحمَد..." ص، 129.

"فَقَد سَعى بِحَتفِهِ بِظِلفِه".

"وَكَذلِكَ وَلَدَيْه". ص.129.

"وإن لَم يَرضاهُ السُّكنى". ص. 130.

3 – **العَرَبِيَّةُ الصّوفِيَّة** :

ولاَ نَقصِدُ أنَّ كُلَّ ما كَتَبَهُ الصّوفِيَّةُ المَغارِبَة، مِن شِعرٍ وَنَثر، هُوَ مِن هذا القَبيل. ولكن نَقصِدُ أنَّ طَائِفَةً مِنَ التُّراثِ الصّوفِيّ، ولاَ سِيمَا الدَّرقاوِيّ، تَتَمَيّزُ باستِعمالِها لهذه اللُّغَة. وَمِن أمثِلَةِ ذلك مِن تُراثِ أحمَدَ ابنِ عَجيبَة :

"ثُمَّ أمَرَني بتَشْطِيبِ السُّوق، وحَمَلَ زِبلِهِ علَى عُنُقي إلى خارِجِ المَدينَة.. ثُمَّ أمَرَني بِرُكوبِ الحِمار، وَنَسيرُ بِهِ في الأسواق". ص. 55.

"فَكانَ بَعضُ الكَرّابين يُعطيني القِربة، وَيَمْلأُها لي بالماء، ويُعَلِّقُها لي في عُنُقي، وَيُعطيني الشَّناشيلَ الَّتي تُصَوِّت، وَيُعطيني خَنَشَةً لِلفُلوس، ثُمَّ نَخْرُجُ نَسقي..." ص 55.

"وَفي هذه الوَقعَة، ضَرَبَ المُقَدَّمُ شَيخَ القَبيلَةِ بالخُدميّ..." ص. 56.

"ثُمَّ أخرَجونا مِنَ الزّاويَةِ وَشَدُّوها". ص. 58.

وَمِن أمثِلَتِهِ في تُراثِ مَولايَ العَرَبِيِّ الدَّرقاوِيّ :

وَرَجَعَ الأعمى يَنعَتُ الطَّريقَ لِمَن بِعَينَيه". ص. 105.

"قَالَ لي : اِمشِ وَجِئْ. فَكُنتُ على كُلِّ يَومٍ نَجتَمِعُ بِهِ... وَلَم يُغَشِّمني أحَدٌ بِعِلمِهِ". ص.305.

"إذا تَكَلَّمتُ مَعَك، وأنتَ عَلى حالِ الخَوض، فَنَخافُ عَلَى نفسي أن نَتَخَوَّضَ مِثلَك... فهكذا حَدَّثوني عنكَ النّاس". ص. 305.

"كُنتُ أُدَرِّرُ الصِّبيان". ص. 313.

وهذه اللُّغةُ فيها تَراكيبُ عامِّيَّة، وَألفاظُ عامِّيَّة، مِنها ما هُوَ مُنقَرِض، وَمِنها ما هُوَ ما يَزالُ مُستَعمَلاً. وفيها كذلك بَقِيَّةٌ مِن لُغاتِ العَربِ القَديمَة، كَلُغَةِ أكلوني البَراغيث.

إنَّ عَدَمَ الانتِباه إلى خُصوصيّاتِ هذه اللُّغَة، أو فُقدانَ معاجِمِ الدِّراساتِ المُختَصَّة فيها، يَجعَلُ الباحِث يَرتَبِكُ عِندَ قَراءتِها. لَقَد قَرَأ بَسّامٌ بارود، المُحَقِّقُ الفاضِلُ لِرَسائِلِ مَولايَ العَرَبِيّ، قولَهُ : كُنْتُ أُدَرِّرُ الصِّبيان" : كُنتُ أُدَرِّبُ الصِّبيان"، وأصلُهُ مُشتَقٌّ مِن الذُّرِّيَّة، وَجَمعُها الذَّارارِيّ. وَالكَلِمَةُ في عُرفِ أهلِ المَغرِبِ تَعني الأطفال. وَقَدِ اشتَبَهَت عَلَيه الحُروفُ في رَسمِها.

4 - **العَرَبِيَّةُ العَدلِيَّة :**

وَهِيَ لُغَةُ الوَثائِقِ العَدلِيَّة. وَهِيَ لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَليمَة ؛ تَكثُرُ فيها الاِصطِلاحاتُ الفِقهِيَّة، وأحيانا تَتَضَمَّنُ ألفاظاً عامِّيَّةً أو بَربَرِيَّة، أو ألفاظاً مِنَ الدَّخيلِ الإسبانيِّ وَغَيرِه، لِلدَّلالَةِ على ما كانَ رائِجاً مِنَ الأثاثِ وَغَيره. وَكَثيرٌ مِن عِباراتِها إنَّما هِيَ عِباراتٌ مَسكوكَةٌ مُتَداوَلَةٌ في كُتُبِ الشُّروط، لا يَكادُ العَدلانِ يُغَيِّرانِ مِنها شَيئا، إلاّ ما يَقتَضيهِ المَقامُ مِن تَأنيثٍ وَتَذكيرٍ وَجَمع. وَقَد يَتَخَلَّلُها لَحنٌ خَفيفٌ أحيانا.

5 - **العَرَبِيَّةُ التِّجارِيَّة :**

وَيَستَعمِلُها التُّجّارُ في مُخاطَباتِهِم. وَهِيَ أقرَبُ إلى العامِّيَّة مِنها إلى اللُّغَةِ الفَصيحَة. وَيكثُرُ فيها اللَّحنُ والألفاظُ الأعجَمِيَّة، وبَعضُ العِبارَاتِ المَسكوكَة. وَقَد يَجري فيها ما يُمكِنُنا أن نُسَمِّيَهُ بِالتَفاصُح، أي استِعمالُ الكَلِماتِ وَالعِبارَاتِ الفَصيحَة في غَيرِ مَحَلِّها.

وَنَرى أنَّ الفَرزَ الدَّقيقَ لهذه المُستَوَياتِ اللُّغَوِيَّة، وَوَصفَها إنَّما هُوَ مِن مُهِمَّةِ عُلَماءِ اللِّسان. وَحَسبُنا أن نُنَبِّهَ عَلَيها، لِيكونَ المُحَقِّقونَ على بَيِّنَةٍ مِن أمرِها، حَتّى لا يقعوا في إسقاطِ قَواعِدِ الفُصحى عَلى العامِّيَّة، أو يُسيئوا قِراءَةَ النُّصوص. ونَرى في هذا الصَّدَد، أنَّ التَّعاوُنَ بَينَ المُحَقِّقِ وَاللِّسانِيِّ ضَروريّ، وَنَدعو إلى التَّواصُلِ العِلمِيِّ بَينَهُما خِدمَةً لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في ذاتِها، وَخِدمَةً لَها في تُراثِها. وَاللَّهُ المُوَفِّق.